CC BY

مصطفى اسماعيل ودوره في سقوط تونس 1881-1853

سعد توفيق عزيز البزاز *

تأريخ التقديم: 2020/7/12 تأريخ القبول: 2020/7/25

المستخلص:

مصطفى اسماعيل من الشخصيات البارزة في تاريخ تونس الحديث فهو احد وزراء تونس في القرن التاسع عشر ،وقد تقلد عدة مناصب وزارية في عهد الباي محمد الصادق الى ان اصبح رئيساً للوزراء ،كان له دور في عرقلة خطا الاصلاحات التي قام بها خير الدين باشا ،وارهق اقتصاد البلاد من خلال اتباع سياسة التبذير والاسراف ،والتعسف في جباية الضرائب تجاه اهل تونس، مكللاً اعماله بتسليم تونس على طبق من ذهب للمحتل الفرنسي.

فالمحتل والمستعمر الفرنسي لم يأتي من فراغ او مرسلاٍ قواته العسكرية مباشرةً الى ارض تونس بل سعى الى اغراقها بالقروض والديون الخارجية ليستحوذ على مقدراتها الاقتصادية مستغلاً مشكلة الاقليات مطالباً الحكومة التونسية بالعدالة والمساواة متفقاً مع بعض القبائل التي تقطن الحدود بين الجزائر وتونس ليثيروا القلاقل ويعطوا الحجة لفرنسا لبسط الامن ،فضلاً عن ضعف وعدم كفاءة الباي والنخب الحاكمة التي كانت تسيطر على مقاليد الحكم في تونس فكان هم الباي كيف يمكنه جعل الحكم وراثياً في اسرته اما الوزير مصطفى اسماعيل ،فقد استغل الفرنسيون جهله وحبه للسلطة والمال فكان يتصور انه بمجرد دخول تونس تحت الحماية الفرنسية فان فرنسا لم تنسى معروفه ويصبح مباشرة بایاً لتونس ،فاتفق مع قنصل فرنسا على شروط ادخال تونس تحت الحماية الفرنسية فتم احتلال البلاد عام 1881.

* أستاذ مساعد / قسم التاريخ/كلية الآداب/جامعة الموصل .

الكلمات المفتاحيَّة: سقوط، تونس، فوضى.

المقدمة:

تعد شخصية مصطفى إسماعيل الشخصيات البارزة في تاريخ تونس الحديث فهو أحد وزراء تونس في القرن التاسع عشر ،تقلد عدة مناصب وزارية في عهد الباي محمد الصادق الى ان أصبح رئيساً للوزراء ،كان له دور في عرقلة خطا الاصلاحات التي قام بها خير الدين باشا ،وارهق اقتصاد البلاد من خلال اتباع سياسة التبذير والاسراف ،والتعسف في جباية الضرائب تجاه اهل تونس، مكللاً اعماله بتسليم تونس على طبق من ذهب الى المحتل الفرنسي عام 1881م.

تناول البحث خمسة محاور اساسية : المحور الاول تناول اوضاع تونس الداخلية من عام 1855-1877 اذ الخطوات الاصلاحية التي قام بها البايات والاصلاحيين في تونس وخشية الدول الاوربية ولاسيما فرنسا من تلك الاصلاحات التي قد تؤثر على مصالحهم في منطقة المغرب العربي بعامة وتونس خاصة ،وسعي تلك الدول الى اغراق تونس بالاستدانة والقروض الخارجية ليسهل السيطرة عليها ،فحكم تونس في تلك الحقبة احمد باي وصولاً الى محمد الصادق الذي قاد البلاد نحو الهاوية هو ووزيره مصطفى اسماعيل، ليتحدث المحور الثاني عن ثقافة مصطفى اسماعيل وصفاته ليدخل المحور الثالث ويستعرض اجراءاته في عرقلة الاصلاحات التي قام بها الوزير خير الدين باشا ويدخل البلاد في فوضى ومديونية خارجية وهو المحور الرابع، ليصل مصطفى اسماعيل الى غايته ويسلم تونس الى المحتل الفرنسي وهو المحور الخامس.

مدخل:

أصبحت تونس تابعة للدولة العثمانية بعد فرض السيادة عليها منذ عام 1574، واستمرت تابعة للحكم العثماني بشكل مباشر حتى مطلع القرن الثامن عشر اذ أسس الحكم المحلي منذ عام 1705 بقيام النظام الحسيني او الاسرة

الحسينية ([1]) ،الذي استمر حتى عام 1956 ،اذ حكمت البلاد بشكل شبه مستقل عن الدولة العثمانية من خلال بايات الاسرة الحسينية اذ عاشت البلاد مرحلة من التقدم الاقتصادي والاستقرار الاجتماعي لاسيما في أواخر القرن الثامن عشر وحتى مطلع القرن التاسع عشر .

استقرت فرنسا وأوربا بعد الحروب النابليونية واخذت تفكر في فرض الحماية ثم الاحتلال –الفرنسي لمنطقة المغرب العربي عامة ولتونس خاصة فقد عانت البلاد من ظروف سياسية واقتصادية داخلية وخارجية ،قادت الى تدخلات أجنبية فرنسية لاسيما في الوضع السياسي والاقتصادي [2].

ومن الجديد بالذكر ان تونس اثناء النصف الثاني من القرن التاسع عشر عانت من مشاكل داخلية متنوعة ،وقفت على راسها المشكلة المادية وما قادت اليه من مديونية ساهمت في النهاية الى التدخل المباشر لفرنسا [3].

أوضاع تونس الداخلية 1855–1877:

اصبح محمد احمد بايا على تونس عام 1855([4])، بعد وفاة ابيه ولم يكن اصلاحياً كأبيه الا ان الاصلاحيين "خير الدين باشا[5] ومحمود قبادو[1]" اقنعوه

---

(1) اسس الاسرة الحسينية في تونس حسين باي الاول عام 1705.

(2)محمد الهادي الشريف، تاريخ تونس ، سراس للنشر ،(تونس، 1993)، ص81–95.

(3)نهاية محمد صالح الحمداني، الحركة الوطنية التونسية 1881-1920، دار المعتز للنشر والتوزيع،(عمان،2016)ص9.

(4) لم اجد في المصادر التاريخية معلومات كافية تترجم حياة محمد احمد الذي حكم من 30/ ايار/ 1855 إلى 20/ايلول/ 1859 وذلك بسبب قصر الفترة التي حكم فيها البالغة اربعة سنوات ، وهو الباي الحادي عشر من بايات االاسرة الحسينية بتونس، الا انه اسمه ارتبط باصلاحات لاسيما وانه عاصر المصلح الكبير خير الدين باشا التونسي ومحمود قبادو، وله الفضل في وتحرير العبيد 1857 واصدار عهد الامان عام 1857 والاهتمام بالمكتبات العامة ومكتبة جامعة الزيتونة. للمزيد ينظر: ج .س .فان كريكن، خير الدين والبلاد التونسية 1850–1881، ترجمة البشير بن سلامة، دار سحنون، (تونس،1988)،ص3–4 ؛ احمد الطويلي، بناة الدولة التونسية الحديثة ،المغاربية لطباعة واشهار الكتاب،(تونس،2019)،ص73 و109 .

(5)خير الدين باشا التونسي 1810– 1889 ولد في القوقاز من عائلة شركسية استقدم مملوكاً الى استنبول وارسل الى تونس ليدخل في خدمة احمد باي ،تربى تربية دينية ،وتعلم اللغة الفرنسية

بضرورة اصدار نظم اصلاحية لتحسين احوال البلاد والعباد وترتيب هيكلية الدولة ،فبدأ بتشريع نظم مالية وادارية وعمرانية ،سعى الى تغيير اساليب الادارة وتشجيع التجار الاجانب الا ان هذه المحاولة زادت من التدخل الاجنبي وعمل على تحديث الجيش لغرض اجتذاب تأييد اصحاب الافكار الجديدة وتثبيت جذور الولاء للحكم لدى جميع فئات الشعب وقام بإعلان اصلاح على غرار الاصلاح العثماني ودون مبادئه في وثيقة عرفت بأسم (عهد الامان)، وقصة هذا العهد ان رجلاً من اليهود التوانسة قام بقتل رجل مسلم ،فقامت السلطات بإعدام القاتل مما اثار ذلك غضب فرنسا وبريطانيا[2].

لقد كان عهد الامان ثمرة جهود الاصلاحيين التونسيين وفي مقدمتهم خير الدين باشا وقد استوحى الكثير من القوانين وتنظيمات الدولة العثمانية ،بعامة خط شريف كولخانة 1839 وخط شريف همايون 1856 اذ يوجد تشابه كبير في مضمونها في الحرية والمساواة ،ثم تولى الحكم بعد محمد باي الباي محمد الصادق عام 1859 وكان اصلاحيا ابتدأ عهده بإصدار الدستور (وهو القانون الاساسي للبلاد) عام 1861 وبموجبه اصبح حاكماً دستورياً لتونس وحددت صلاحياته بموجب هذا الدستور[3].

والعربية ثم عمل في ميدان الجيش وتفرغ للسياسة ،كان من المتنورين وزعيماً للاصلاحيين . للمزيد ينظر: عصمت برهان الدين عبد القادر، العرب والمسالة الدستورية في الدولة العثمانية 1876-1914، اطروحة دكتوراه غير منشورة مقدم الى مجلس كلية الاداب، (الموصل،1995)،ص55.

(1)محمود قبادو: ولد في تونس عام 1814 وتلقى تعليمه بها، قام بتدريس اللغة العربية وتنقل ما بين توني واستنبول ، فضلاً انه كان من رجال الدولة الاصلاحيين فهو اديب وشاعر واستاذ .للمزيد ينظر: الموسوعة العربية الميسرة ،اشراف محمد شفيق، دار القلم (القاهرة، 1965)،ص164.

(2) عهد الامان: وهو القانون الذي صدر عام 1857 قام احمد بن ابي الضياف بوضعه ، تضمن المساواة بين السكان سواء كانوا مسلمين او غير مسلمين ،ولا يجبر احد على تغيير دينه، فضلاً عن ممارسة الطقوس الدينية بحرية. للمزيد ينظر: احمد بن ابي الضياف، اتحاف الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الامان، منشورات الجامعة التونسية،ج4، (تونس،1971)، ص88-89.

(3)عبد القادر ،المصدر السابق،ص56-57.

ان الحركة الاصلاحية لقيت معارضة من قبل علماء الدين الذين عملوا على اثارة الشعب ،كما انها لقيت معارضة من القوى الاستعمارية الكبرى (فرنسا وايطاليا) اذ رأت في الاصلاحات الجارية في تونس مايهدد نفوذها ومصالحها ويتبين ذلك في مقولة لويس نابليون رئيس فرنسا حينما عرض عليه عهد الامان قال: ((اذا تعود العرب على الحرية والعدالة فلن يكون بيننا وبينهم سلام)) [1]. وهذا ان دل على شيء فانه يدل على نية فرنسا المبطنة لاحتلال تونس ونهب خيراتها وعلى تعويد التونسيون ان يكونو خانعين خاضعين للمحتل .

استحدث محمد الصادق باي([2]) ،وزارات منها المالية والعمل والخارجية وانشاء مرافق خدمية كمشروع سكك الحديد وخطوط التلغراف وتنظيم الجيش، الا ان تلك الاصلاحات قامت بإستنزاف موارد الدولة المالية اذ اعتمد على الرأسمال الاجنبي والقروض التي عجزت تونس عن تسديدها ،اذ كان خير الدين باشا معارضاً للتبذير والفساد الذي استشرى بين مفاصل الدولة الا ان معارضته لم تجدي نفعاً فإضطر الى الاستقالة عام 1862 ،فساءت احوال تونس الاقتصادية اكثر فأكثر وعجزت الدولة عن دفع رواتب الموظفين فلجأت الدولة الى مضاعفة ضريبة المجبى (وهو ضربة تأخذ على الافراد بعد بلوغهم سن 18 سنة) فاندلعت ثورة شعبية بقيادة علي بن غذاهم عام 1863[3]، وكاد الثوار ان يستولوا على تونس لو لا تدارك الباي محمد الصادق بامتصاص نقمة الثوار عن طريق تخفيض الضرائب والغاء قانون الاصلاحات

---

(1)محمد يوسف نحلة ،تطور الحركة الوطنية في تونس 1881-1956، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى معهد الدراسات القومية والاشتراكية،(بغداد،1981)،ص38.

(2)محمد الصادق باي أو محمد الصادق باشا باي أو الصادق باي أو محمد الصادق بن حسين ولد في 7 /شباط/1813 وتوفي29 /تشرين الثاني /1882، هو باي تونس الثاني عشر منذ سنة 1859 إلى حين وفاته. أصدر خلال عهده أول دستور تونسي بدأ العمل به عام 1861 ينص على تنظيم الحياة السياسية بالفصل بين السلط الثلاث والحد من سلطة الباي الأمر الذي دفع بإلغائه سنة 1864 ، وفي سنة1881 ، وقع على معاهدة باردو التي تشكل بداية الاستعمار الفرنسي لتونس. للمزيد ينظر: محمد الصادق باي، الموسوعة الحرة ويكبيديا، الشبكة العالمية للمعلومات ،ar.wikipedia.orgi

(3)ثورة علي بن غذاهم، هو الاسم الذي أطلق على الثورة الشعبية العارمة التي اندلعت سنة 1863 ضد نظام محمد الصادق باي وقد سميت على اسم قائدها علي بن غذاهمللمزيد ينظر :.ب سلامة، ثورة بن غذاهم، دار الكتب التونسية للنشر، (تونس،1967)،ص32-35.

.استمر الوضع الاقتصادي بالتدهور الى حد اضطرت الخزينة التونسية الى تحصيل الضرائب من الفلاحين والحرفيين ،وساءت الاحوال الصحية بسبب الاهمال وانتشرت الامراض والاوبئى وتدهور الانتاج الزراعي والصناعي وارتفعت الاسعار واضطرت الحكومة الى التوقف عن دفع اقساط الديون لفرنسا وحل الافلاس المالي بتونس عام 1867[1].

مع استمرار البذخ والتبذير استمر تغلغل الرأسمال الاجنبي بالتغلغل بدأت تونس تدخل طوراً من الضعف الاقتصادي الذي لم تسعفه القروض الاجنبية مما قاد تونس نحو الافلاس عام 1867 ووضع موارد تونس تحت السيطرة الدولية عن طريق لجنة مالية دولية وخاصة فرنسا وبريطانيا للايفاء الديون التي بذمة تونس ،فبدلاً من اصلاح اوضاع الاقتصادية لتونس قام الباي محمد الصادق بالذهاب الى استنبول للمطالبة بجعل الحكم وراثياً لعائلته ،وفعلاً وافق السلطان العثماني على ذلك واصبح خير الدين باشا رئيساً للوزراء عام 1873. حاول خير الدين باشا انقاذ مايمكن انقاذه عن طريق الاصلاح الاداري وتقديم الخدمات الادارية وانشاء المدارس وتحديث التعليم وتطوير صحيفة الرائد التونسي وتحديد مرتبات القصر واحياء الصناعات المحلية وتنظيم الاوقاف والقضاء وتخفيض الضرائب ومحاولة توطين البدو الا ان تلك الاصلاحات لم ترق للكثيرين ومنهم الباي نفسه ومصطفى اسماعيل فما كان من خير الدين ان قدم استقالته من منصبه عام 1877[2].

اصابت تونس نكسة بتخلي خير الدين باشا عن منصبه وتولي مصطفى بن اسماعيل رئاسة الوزارة ،فأخذت احوال تونس تسوء اكثر فأكثر ،وعادت سياسة التبذير والاستدانة من جديد ،وعاد الباي الى الاستدانة من فرنسا وبريطانيا وايطاليا ،واشتد التنافس بين تلك الدول على النفوذ الاقتصادي وخاصة بين فرنسا بحكم

(1) الحمداني، المصدر السابق،ص22.

(2) عبد القادر، المصدر السابق،ص60-62.

وجودها بالجزائر وايطاليا بحكم قرب اراضيها من تونس ، وكان على كلا الدولتيين ان تجد التأييد الدولي لتحقيق اطماعها نظراً لاهمية تونس الاستراتيجية[1].

وهنا برزت شخصية مصطفى اسماعيل الذي كان له دوراً فاعلاً في تدمير ميزانية تونس وان يقودها الى الهاوية وساعد الفرنسيين على احتلال تونس ،ولابد لنا كذلك من البحث عن السبب الذي جعل الباي محمد الصادق ينقاد له ويستمع له ، لعل خلف ذلك كله تكمن العديد من الاسباب؟؟؟

مصطفى اسماعيل حياته وصفاته:

ولد مصطفى إسماعيل عام 1853 ،كانت امه يهودية من مدينة بنزرت واسلمت في بيت اسماعيل ،تزوجها وسماها منانة ثم ماتت ومات اسماعيل ،ولما بلغ عُمُر مصطفى ثمانية سنوات كان شغله الشاغل التسكع في شوارع تونس رث ممزق الثياب يلتقط اعقاب السكائر في المقاهي الاوربية ،ثم عمل خادماً بخمارة لاحد رعايا جزيرة مالطة بتونس ،استمر في عمله ذلك حتى عمل معاوناً لاحد الحلاقين في دكان بسوق البلاط في العاصمة تونس.

طلب امير لواء العسة(اي العسس او حراس الليل) علالة بن فريجة غلماناً يخدمون الباي، اخذه محمد الصادق باي وصار من خدمه وقربه ورقاه الى رتبة امير لواء مع انضمام رتبة امير لواء ثانياً في عسته العسكرية الخاصة ،وهي وظيفة مقصورة عليه ،وهو متواضع بشوش كثير التردد والزيارة للصالحين شديد الاعتقاد بهم ،ينتمي الى علوم الحدثان (اي علم صغار السن) شره على الاشياء الجديدة كثير الانفاق على مايعود الى ذاته وملذاته محب لتجميل نفسه بالثياب والمجوهرات حتى تعددت الخواتم في اصابعه وعلى صدره وسلسلة ساعته عارفاً بأخلاق سيده ملائماً في سيرته معه لمرضاته حتى تمكن من كسب ميله واشتدت رغبته في استرضائه الى ان قدمه على معاصريه وابناء جنسه ثم رقاه الى رتبة الفريق ،وتدرج الى خزندار (مسؤول

(1)الحمداني ،المصدر السابق،ص29.

الخزينة) وسمي عاملاً على الوطن القبلي ثم ولي وظيفة صاحب الطابع ووزيراً للبحر[1].

في عام 1878م ترقى مصطفى اسماعيل الى الوزارة الكبرى (اي رئيساً للوزارء)،اذ سعى اليها سعياً حثيثاً بشتى الطرق الوضيعة ،كان متعجباً من تحقيق امنيته في ولاية هذه الوزارة حتى قال ليلة ولايته: ((لعلالة ابن الزاي "وهو خادمه" اني لم اصدق نفسي اني وليت خطة الوزارة الكبرى)) ،وبقي اياماً كثيرة يعيد مثل ذلك ونقل لجلسائه ان ولي العهد علي باي لما حضر عند اخيه قال له: ((اليوم امنا على كرسينا وهذا الولد من تربيتك فاذا استعصى عليك في شيء ادخله مقصورتك واضربه بيدك واقرصه من خده فانه يبكي او لا وبعد ذلك يقبل يدك ويفعل ماتريد . فقال الباي ورحمة اسيادي ان هذا الامر في بالي منذ سنين)) [2].

ليس من المبالغة في شيء عندما نقول بأن مصطفى اسماعيل كان يتصف بانحطاط الاخلاق والشذوذ والسذاجة الى حد بعيد ،وهناك قصة رواها علي بن الزاي جاء فيها: ((ومن اغرب مايحكى من افعال هذا الوزير الغدار ان ذات يوم ماكث انا وهو في داره نتذاكر في سياسة الملوك واخلاقهم حتى وصلت الى سيدنا "دام علاه" في اخلاقه الحسنى معه ومحبته فيه .فبينما نحن خائضين في ذلك فاذا بعجوز دخلت علينا وبيدها كانون صغير به مجمرة وضعته امامنا وخرجت .فقلت له ماهذا ياسيدي .قال لي انظر مانصنع.....ارى العجب فسألته ماهذا يا سيدي قال: هذا امر مجلب للمحبة (اي نوع من انواع السحر) وإنا نريد ان نطعم سيدنا منه ليزداد محبة لاني اريد ان اطلب منه مطلباً والمطلب صعباً لايصير الا اذا اعميت على قلبه وعلى سمعه

(1)البشير الحاج ابن عثمان الشريف، اضواء على تاريخ تونس الحديث 1881-1924،دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع، (تونس، د.ت)،ص8.

(2)الشريف ،المصدر السابق ،ص9.

وعلى بصره حتى يستجاب لي ذلك، فسألته عن المطلب فاجابني بقوله: اريد ان يخلفني في حياته خلافة الملك مثل دعاة الملوك الذين يخلفون اتباعهم)) [1].

وهذا النص يدل على مدى جهل وسذاجة مصطفى اسماعيل ورغباته الغير سوية للوصول الى غايته في ان يجعل نفسه خليفةً للباي التونسي حتى انه مارس السحر لذلك.

إجراءات مصطفى اسماعيل في عرقلة اصلاحات خير الدين باشا التونسي:

حينما تولى خير الدين باشا التونسي، منصب الوزير المباشر قام بالعديد من الاصلاحات منها اتمام وتحسين العلاقات مع الدول الاوربية وعقد المعاهدات بما يتوافق مع مصلحة تونس ويوضح خطاب خير الدين باشا نموذجاً للسياسة الاصلاحية فهو مفكر وسياسي مارس الحياة السياسية والعمل الدبلماسي ، فقد حاول التفكير في اشكالية عصره وهي تجاوز التخلف والتاخر والجهل والاستبداد والضعف ، فشهادة خير الدين باشا تقدم موقفاً من احوال تونس التابعة للدولة العثمانية والخاضعة لضغوط الفرنسيين تصوغ موقفاً من ثلاثة محاور رئيسية :

1.الاوضاع السياسية وسبل اصلاحها .

2.التمدن الاوربي وكيفية مجاراته ومواجهته.

3.تقرير عن المكتشفات والمخترعات الاوربية المساهمة في تأسيس التمدن.

هذه المحاور المعلنة ،وهي تتضمن تفريعات تحدد معطيات جزئية حول ضرورة التنظيمات من أجل الاصلاح السياسي ،وبعض المعطيات الوصفية حول القوة الاوربية والعوامل المتعددة التي ساهمت في تشكيلها منذ القرن الرابع عشر الى التاسع عشر الميلادي، وقد اوضح خير الدين باشا في مقدمته على ضرورة تنظيم الاحوال

(1)نيقولا زيادة ، تونس في عهد الحماية من 1881–1934، معهد الدراسات العربية العالمية،((مصر، 1963)،ص42–43؛ الشريف ،المصدر نفسه ،ص11

السياسية لتونس كوسيلة للحد من الاستبداد والظلم ووسيلة للتنظيم الاقتصاد والادارة والجيش ويقول خير الدين باشا: ((واذ تقدم بيان الادلة الكافية لوجوب التنظيمات السياسية التي لو لم يكن الا تنفير الاجنبي والمتوظفين منها لكان كافياً في الدلالة على حسنها ولياقتها بمصالح المملكة ،كان من اهم الواجبات على امراء الاسلام وعلماء الشريعة الاتحاد في ترتيب تنظيمات مؤسسة على دعائم العدل والمشورة ،كافلة بتهذيب الرعايا وتحسين احوالهم و زرع حب الوطن في صدورهم ويعرفهم مقدار المصالح العائدة على مفردهم وجمهورهم))[1].

لقد بدت المقدمة التي قدمها خير الدين باشا كإطار نظري عام يسعى لتبرير وقائع باشرتها السلطة العثمانية (ويقصد هنا خط شريف كولخانة 1839 وخط شريف همايون 1856) وباشرها بايات تونس كمحاولات لاحداث بعض التجاوب والتوازن مع مقتضيات احوال الوقت وهي اساساً مقتضيات الزمن الاستعماري، وهنا لايفوتنا ذكر ان التنظيمات الاصلاحية التي انجزتها الدولة العثمانية كانت تهدف الى اعطاء بعض الصلاحيات للجاليات الاوربية .لقد تحمس خير الدين باشا الى التنظيمات بحس رجل دولة وكتبها بلغة المفكر وحاور من اجلها وفي سبيلها كل المناوئين لها ابتداءاً من الفقهاء الى الموظفين المتنفذين وسعى جاهداً لتوضيح مسألة نظرية وهي تأكيده على عدم تناقضها اي التنظيمات الاصلاحية [2].

قام خير الدين باشا توحيد الاحكام في المملكة ووضع اول مجلس صحي ،واحدث ادارة للاوقاف العامة بنظام اداري محكم ،وشجع السكان على الزراعة وخاصة الزيتون ،وقام بتوزيع الاراضي على صغار الفلاحين ،واهتم بالتعليم فقام بتأسيس المدرسة الصادقية ،وقام بتنمية التجارة الوطنية ،غير ان هذه الاصلاحات لم تخلو من العقبات والمعارضات لاسيما من تدخل مصطفى اسماعيل الذي له حظوة

(1)عبد القادر جغلول ،الانتلجانسيا في المغرب العربي ،دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع،(بيروت،1984)،ص88-89.

(2)معن زيادة، اقوم المسالك في معرفة احوال الممالك ،لخير الدين باشا ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،0(بيروت،1985)،ص93-ومابعدها.

كبيرة عند الباي وما وصل به من تقلد الوظائف العالية (وزيراً للبحر ووزيراً للشورى وغيرها) على مافيه من عدم الكفاءة وقلة الخبرة بالامور السياسية فضلاً عن قيام مصطفى اسماعيل بتأليب الباي وشيوخ وعلماء الدين ضده ،فاضطر خير الدين باشا التونسي الى التخلي عن منصبه بعد ما عرف عنه بمزاياه الشريفة واخلاصه في العمل لصالح تونس ،وتقدم بدله للوزارة مصطفى اسماعيل ،ومنذ ذلك الحين اضطربت الحكومة من الداخل والخارج وكثرت المشاكل بدسائس بعض القناصل [1].

دور مصطفى اسماعيل في ارهاق ميزانية تونس:

كانت تونس تعيش ازمة اقتصادية خطيرة ففي عام 1863 اثقلت كاهل المواطن التونسي بالضرائب ، وكانت باقي الضرائب مسلطة على كل شيء مثل الملح والتبغ والشموع والجلد والاغنام والبغال والمغنيين والموسيقيين والمومسات ،وفرض المكس على كل معاملة ،في حين كان الاقتصاد الراسمالي في الدول الاوربية يتقدم بخطاً سريعة كما ان تونس اقترضت من الدول الاوربية عام 1865 قرضاً بفائض مرتفع بلغ عشرة ملايين وثلاثمائة وخمس وستون الف فرنك والتزمت تونس باعادة مبلغ الاصلي مع الفائدة 27 مليون فرنك خلال خمسة عشر سنة [2]،الا ان تونس وهي حديثة العهد بالقرصنة وتجارة الرقيق بقيت بلداً زراعياً يعاني منافسة البلدان المتقدمة ،وقد كان الغاء الرق ضربة قاسية لنشاط القوافل التجارية ذلك النشاط الذي ترتزق منه قبائل الجنوب الرحل كما اصبحت الصناعات التقليدية بالمدن تعاني الامرين من جراء المنافسة الاوربية التي اخذت تنمو في تونس بفضل الامتيازات الاجنبية التي ينعم بها الاستيراد واخذ استيراد المنسوجات القطنية البريطانية يمحو من مدينة سوسة تدريجياً صناعة النسيج التي كانت تملأ المدينة في

(1) حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس ،دار الكتب العربية الشرقية، (تونس، د.ت)ص176-177؛ احمد الطويلي، دراسات ووثائق عن الحركة الاصلاحية بتونس، سعيدان للطباعة والنشر، (تونس،1992)،ص29.

(2)الهادي التيمومي، تونس والتحديث، دار محمد علي للنشر، (تونس،2010)،ص177.

القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر وفي الجنوب كان الافلاس نصيب اصحاب الصناعات بقابس وجربة ونفزاوة واصبح الجلد والمنسوجات الصوفية والحريرية تستورد من الخارج وكان في رواج البضائع الحديدية والاسلحة والحلي الاوربية ادت الى افلاس اصحاب الصناعات المعدنية التونسية . هذا وقد منيت التجارة عن طريق المراسي بالساحل ببعض الانحطاط فقد صارت البضائع السودانية تنصرف عن صفاقس متجهة صوب سواحل الخليج الغيني والمحيط الاطلنطي ،واصبح كل شيء ينتقل الى ايدي الاوربيين ففي سوسة مثلاً لم تعد تجد مؤسسة تجارية واحدة غير اجنبية .وكانت تونس متضررة من جراء تأخرها الفني ،فلم يكن زيت الساحل الذي يصدر خاصة الى مرسيليا يستعمل الا لمقاصد صناعية كصناعة الصابون او الاضاءة نظراً لردائة صنعه ،لكن تونس الخضراء بلد الزراعة قبل كل شيء كانت تتألم وتعاني بالخصوص في هذا ميدان من تقنيات متأخرة و طرق زراعية بدائية ،فضلاً عن ظروف مناخية غير مستقرة مثل امطار غير منتظمة ،فكل هذه الامور مجتمعة لم تكن لتسمح الا بمنتوج ضعيف[1].

كان في انتشار مرض الطاعون بين التونسيين ،والمحاصيل الضعيفة المنتوج مصيبة يصعب تحملها مع قلة النقود الذهبية والفضية وتقلصها بسبب نقل الاموال خارج تونس لدفع ثمن البضائع المستوردة فعملت الحكومة على اصدار النقود النحاسية بكثرة ادت بالنتيجة التضخم النقدي افضى الى انخفاض قيمة الريال التونسي من 10 ريال الى واحد فرنك عام 1851 الى 60 ريال الى واحد فرنك عام 1860. اما الحكومة التونسية فكانت في ذلك الوقت بعيدة عن التفكير في مساعدة واعانة الاهالي على تذليل الصعوبات الاقتصادية اذ كان همها ان تبتز اموالهم الى اقصى حد[2].

(1)الحبيب ثامر ،هذه تونس، مكتبة المغرب العربي،(القاهرة،1948)،ص23-25.

(2)الطاهر عبدالله، الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة 1830-1956،دار دار الطليعة،(بيروت،1974)،ص23-27.

وقد وصل للباي محمد الصادق ووزيره مصطفى اسماعيل سوء الاحوال الاقتصادية فتلك الازمة وصلت الى قصر الباي نفسه ،ففي العشر الاواخر من كل شهر لايجد بدار الباي مايقتات العمال به، فاكثرهم يأتون بطعامهم من ديارهم (اي عمال القصر) او يشترونها من السوق ،اما اثناء الشهر ،فلا سبيل لشراء شيء من لوازم الاكل . حتى ان الباي نفسه اذا اشتهى شيئاً .يجاب بأن ذلك غير موجود ،ان كسوة سرايا الباي من النساء والرجال تبلغ في الصيف الى ثلاثين الف ريال وفي الشتاء مائة وثمانين الف ريال ،وبعد ذلك لاينال شيئاً حتى الباي نفسه ،واذا لم يحافظ على ثيابه ،يضطر الى ترقيعها وخياطتها بنفسه[1].

إحتلال تونس ودور مصطفى اسماعيل فيه:

بلغت مديونية تونس لفرنسا نحو 25 مليون فرنك ماجعل فرنسا ان تضع يدها على تونس .وكان المحفز لها مؤتمر برلين الذي انعقد في الثالث عشر من حزيران عام 1878 ،وكان كالضوء الاخضر الذي أعطته الدول الاستعمارية بريطانيا والمانيا ، لفرنسا لاحتلال تونس[2]. فتخلت بريطانيا عن أطماعها في تونس مقابل اعتراف فرنسا بسيطرتها على جزيرة قبرص ،وقد صرح بذلك وزير خارجية بريطانيا اللورد سالسبوري لنظيره الفرنسي دانقتون بقوله: ((احتلوا تونس ان شئتم ،فانكلترا لاتمانع في ذلك بل تحترم قراراتكم)).فيما كان الدعم الالماني لفرنسا عندما أيد المستشار الالماني بسمارك المقترح البريطاني[3] رامياً من وراء ذلك منح التعويضات لفرنسا بهدف صرف أنظارها عن فكرة الاخذ بالثأر لحرب السبعين[4]. من جانب آخر

(1)التيمومي، تونس والتحديث، المصدر السابق،248.

(2)صلاح العقاد ، المغرب العربي الجزائر –تونس–المغرب الاقصى، مكتبة الانجلو المصرية ،(القاهرة ،1969)،ص189.

(3)علي المحجوبي، انتصاب الحماية الفرنسية بتونس، تعريب عمر بن ضو و حليمة فرفوري ، سراس للنشر،(تونس،1986)،ص35.

(4)وقعت حرب بين فرنسا والمانيا ،خسرت بموجبها فرنسا مقاطعتي الالزاس واللورين عام 1870 وضمت الى المانيا.

فان ايطاليا ماكانت لتتخلى عن أطماعها في احتلال تونس، الا أنها لم تتلق دعماً فعلياً من أحد ، اذ عارضت بريطانيا تدخل ايطاليا في تونس ،تمكنهم من مراقبة حوضي مضيق صقلية وتمكنهم في النهاية من قطع طريق الهند(درة التاج البريطاني) الذي أصبح يمر بالبحر المتوسط منذ فتح قناة السويس عام 1869[1]،وبالرغم من تأييد المانيا لفرنسا لاحتلال تونس الا أن الرأي العام الفرنسي وعدداً كبيراً من السياسيين الفرنسيين ،عدو تأييد بسمارك للتدخل الفرنسي في الشؤون التونسية مناورة يقصد بها تعكير العلاقات الفرنسية وبالذات مع ايطاليا وعزل فرنسا على الصعيد الاوربي[2].الا أن فرنسا وافقت على مقررات مؤتمر برلين لان ذلك سيؤدي الى اعادة التوازن في البحر المتوسط ،ويمكنها من الحصول على موارد جديدة وثروة وميدان لنشاطها الاستعماري في تونس تجدها في الراين الذي كان يدفعها صوب المانيا التي يتزايد عدد السكان فيها بسرعة [3]،كما أن ذلك يطمئن تطلعاتها الاستعمارية في المغرب العربي منذ احتلال الجزائر[4].

اخذ روسطان وهو ممثل فرنسا في الجزائر يخطط لغزو تونس بمشاركة مصطفى اسماعيل ،وبعد ان استقر رأيهما على استغلال حوادث الحدود بين تونس والجزائر وانتقال قبائل خمير من تونس الى الجزائر لينتقموا لاحد افراد قبيلتهم ليكون مبرراً للاحتلال وامام الراي العام الفرنسي والعالمي لم يطل بهما الانتظار حتى توغلت

(1)نيقولا زيادة، تونس في عهد الحماية 1881-1934،معهد الدراسات العربية ،دار الرائد للطباعة ،(القاهرة،1963)،ص123؛ احمد عبد الوهاب عبد الرحمن، تاريخ العرب الحديث (1798-1920) دراسة في التنافس الاوربي على البلاد العربية، دار القلم، (الامارات،1987)، ص287-303؛ عبد الوهاب ،المصدر السابق، ص71

(2)اذ تحدث لوتسكي عن مطامع فرنسا وايطاليا في تونس ،و ان أي تدخل من جانب فرنسا في تونس ربما يؤدي الى قيام الحرب بينهما ،لوجود مصالح ايطالية مهمة في تونس لاتقل أهمية عن المصالح الفرنسية ، أنظر لوتسكي ،تاريخ الاقطار العربية، دار التقدم، (موسكو،1971) ،ص 330.

(3)العقاد، المصدر السابق، ص 195.

(4)صالح الدربدي، المسيرى الكبرى، دار بو سلامة للطباعة والنشر، (تونس، د.ت)، ص49.

القوات الفرنسية عام 1881[1]، قام روسطان بدوره بالتظاهر بإبلاغ احتجاج حكومته لدى الباي ناسباً مسؤولية الحوادث الحدودية لسوء نية الحكومة التونسية وعجزها عن السيطرة على القبائل ،ثم حدثت حوادث اخرى كان قد خطط لها الضباط الفرنسيون بين القوات الفرنسية وبعض القبائل التونسية استغلها قائد الفيلق التاسع والوالي العام بالجزائر ليطلب من وزارة الحرب والخارجية السماح للجيش الفرنسي بتأديب المغيرين من اهل منطقة خمير ومن جانب اخر يذكر ابن الزاي عن الوزير مصطفى اسماعيل الذي اعمته مصالحه الشخصية الى حد خيانة بلده لما سولت له نفسه عقد صفقة مع روسطان تمكن فرنسا من بسط حمايتها على البلاد التونسية مقابل مبلغ من المال فضلاً عن بعض المكاسب السياسية التي تجعله على راس السلطة في تونس.

اتخذت فرنسا من انتقال قبائل منطقة خمير عبر الحدود التونسية –الجزائرية ذريعة للغزو، بحجة مساندتها للثوار الجزائريين[2]،وقام الفرنسيون بتحريض الجالية الفرنسية داخل تونس على رفع عريضة في الرابع عشر من اذار عام 1881 الى الحكومة الفرنسية ،تطالب فيها بتدخل فرنسا السريع لضمان حقوق الرعايا الفرنسيين وأموالهم[3].وعليه فقد عبرت القوات الفرنسية في الرابع والعشرين من نيسان عام 1881 من دون سابق انذار الحدود الجزائرية –التونسية [4]،وكان تعدادها(35)الف جندي ،وقسمت الى ثلاث اقسام كل منها تحت قيادة ضابط فرنسي ،وجميعها تحت

(1)جلال يحيى ،العالم العربي الحديث، جامعة اسيوط، (مصر،1966)،ص688.

(2)محمد علي داهش دراسات في الحركات الوطنية والاتجاهات الوحدوية في المغرب العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب(دمشق،2004) ،ص41.

(3) نحلة ،المصدر السابق،ص20.

(4)علي سلطان، تاريخ العرب الحديث 1516–1918، منشورات مكتبة طرابلس العالمية ، (طرابلس، د.ت) ، ص553 ؛ صلاح الدين التلالي ،تونس الجديدة مشاكل ونظريات، عربه محمد السويس ،دار النشر بو سلامة،(تونس، 1959)، ص50–51؛ وعبد الكريم محمود غرايبة، تاريخ العرب الحديث، الاهلية للنشر والتوزيع،(بيروت،1984)،ص187؛ زاهية قدورة، تاريخ العرب الحديث ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر،(بيروت،1975)،ص 523.

قيادة الضابط فورجيمول [1]،فاتجه القسم الاول الى الشمال الغربي لمحاصرة جبال خمير وما حولها ،أما القسم الثاني فقد اتجه نحو مدينة الكاف ودخلها بدون مقاومة نتيجة لما قام به برنارد روي [2].

وفي الوقت نفسه قصف الاسطول الفرنسي بلدة طبرقة وتمكن من احتلالها ،وقام الباي محمد الصادق بجهوده في الاحتجاج لدى الدول الموقعة على (معاهدة برلين) وطلب منها التدخل لوقف الاحتلال [3]،اذ قام الباي بتكليف أخيه علي بقيادة جيش لصد القوة الغازية، لكنه لم يستطع صدها ولا منعها من التقدم ،وكان الباي يأمل في تدخل الدول الاوربية الى جانبه (لكن لم يجبه أحد) .وكان يأمل في ان يفي الباب العالي بوعده بارسال الاسطول العثماني، لكن آماله باءت بالفشل[4].

كان الفرنسيون يعتقدون أن أعمال الحملة في منطقة الحدود مع الجزائر ستكفي الباي ،لكنهم أحسوا أن الباي لايوافق على الحماية ،فأرسلت فرنسا حملة أخرى أبحرت من ميناء طولون بقيادة الجنرال بريار ووصلت بنزرت في الاول من ايار 1881[5]،واحتلت المدينة وزحفت باتجاه العاصمة تونس حتى وصلتها في الثاني عشر من ايار 1881[6]، اذ اجتمع القنصل الفرنسي روسطان مع الجنرال بريار ،وسلموا للباي محمد الصادق نسختين من معاهدة كانت معدة سابقاً عرفت لاحقاً

(1)أحمد عزت عبد الكريم وآخرون، العالم العربي في العصر الحديث، طبع ونشر دار سعد، (القاهرة ،د.ت) ص87.؛ زيادة ،مصدر السابق، ص132.

(2)برنارد روي: هو أحد أعضاء القنصلية الفرنسية ورئيس مركز البريد هناك ،قام بجهود لحث رجال الطرق الصوفية وأصحاب النفوذ بعدم مقاومة القوات الفرنسية ، لكن هناك مصادر تشير الى حدوث قتال، وعلى العموم حتى لو كانت مقاومة فهي ضعيفة بدرت من طائفة من رجال القبائل. للمزيد انظر: عبد المجيد المطوي ،تونس وفرنسا، مكتبة النجاح ،(تونس، 1957)،ص45.

(3)محمد المرزوقي ،صراع مع الحماية ، دار الكتب الشرقية، (تونس ،1973)ص36 .

(4)الشريف، المصدر سابق،ص16.

(5)بشير بو علي ،محاضرات في تاريخ الحركة الوطنية التونسية ،د.م، (د.ت)ص18.

(6)يحيى أبو زكريا ،الحركة الاسلامية في تونس من الثعالبي الى الغنوشي،www.lkhwan. net، 2004/10/5.

بمعاهدة (باردو)[1] أو القصر السعيد ،وأعطوه مدة قصيرة للتشاور والتوقيع عليها، اذ تم ذلك في اليوم نفسه[2]، وهكذا خضعت تونس للاحتلال الفرنسي وتبعها في عام 1883 نص معاهدة أخرى اعتبرت مكملة لمعاهدة باردو عرفت بمعاهدة(المرسى الكبير) [3] وكان هدفها اعطاء صلاحيات أكبر لفرنسا، بمعنى تكريس احتلالها لتونس، وعليه فقد بدأت فرنسا تؤكد سيادتها وسياستها الاحتلالية في تونس، وفي المجالات كافة وطوال زمن الاحتلال.

الخاتمة:

ان موضوع الاحتلال الفرنسي على دول المغرب العربي عامة وتونس خاصة ليس غريباً عن الباحثين والقراء والمهتمين ،فحين نتناول الاحتلال الفرنسي على تونس يتبادر الى الاذهان رغبة فرنسا في توسيع رقعة سيطرتها واستعمارها لدول المغرب العربي ، للاستفادة من خيرات تلك البلدان وتصريف فائض انتاجها فضلاً عن الحمى التي اصابت الدول الاوربية في القرن التاسع عشر ان قوة الدول تكمن في عدد البلدان التي استعمرتها وسيطرت عليها فضلاً عن رغبة المانيا ورئيس وزرائها بسمارك الذي حاول ابعاد فرنسا عن الساحة الاوربية وفكرة الاخ بالثأر لخسارتها منطقة الازلاس واللورين عام 1870 فيما عرف (بحرب السبعين).

(1)(باردو): مدينة على بعد 4كم عن تونس كان فيها سراي الباي.

(2)شذى عذرة ، معاهدة باردو بين فرنسا وتونس الثاني عشر من ايار 1881،مجلة تاريخ العرب والعالم، دار النشر العربية، العدد 101-102،(بيروت،1987)ص 56؛ أحمد أبن عامر، تونس عبر التاريخ منذ أقدم العصور الى اعلان الجمهورية ،مكتبة النجاح، (تونس،1960) ،ص300 ؛ محمد أسعد طلس ،عصر الانبعاث، دار الاندلس ،بيروت، 1963،ص90 .

(3)شذى عذرة معاهدة المرسى بين فرنسا وتونس 8 تموز 1883، مجلة تاريخ العرب والعالم، دار النشر العربية ، العدد 103-104، (بيروت،1987)، ص23 .

فالمحتل والمستعمر الفرنسي لم يأتي من فراغ او مرسلٍ قواته العسكرية مباشرةً الى ارض تونس بل سعى الى اغراقها بالقروض والديون الخارجية ليستحوذ على مقدراتها الاقتصادية مستغلاً مشكلة الاقليات مطالباً الحكومة التونسية بالعدالة والمساواة متفقاً مع بعض القبائل التي تقطن الحدود بين الجزائر وتونس ليثيروا القلاقل ويعطوا الحجة لفرنسا لبسط الامن ،فضلاً عن ضعف وعدم كفاءة الباي والنخب الحاكمة التي كانت تسيطر على مقاليد الحكم في تونس فكان هم الباي كيف يمكنه جعل الحكم وراثياً في اسرته اما الوزير مصطفى اسماعيل ،فقد استغل الفرنسيون جهله وحبه للسلطة والمال فكان يتصور انه بمجرد دخول تونس تحت الحماية الفرنسية فان فرنسا لم تنسى معروفه ويصبح مباشرة باياً لتونس ،فاتفق مع قنصل فرنسا على شروط ادخال تونس تحت الحماية الفرنسية فتم احتلال البلاد عام 1881.

References

_ Abdel Qader Jaghloul, The Intelligentsia in the Arab Maghreb, Dar Al-Hadatha for Printing, Publishing and Distribution, Beirut, 1984, 89.

_ Abdel-Karim Mahmoud Gharaibeh, History of the Modern Arabs, Al-Ahlia for Publishing and Distribution, Beirut, 1984, 187.

_ Abdel-Majid Al-Matawi, Tunisia and France, Al-Najah Library, Tunisia, 1957, 45.

_ Ahmed Abdel-Wahhab Abdel-Rahman, History of the Modern Arabs 1798-1920, Dar Al-Qalam, Emirates, 1987, 303.

_ Ahmed Al-Tawili, Builders Of The Modern Tunisian State, Maghreb Book Printing and Publication, Tunisia, 2019, 73.

_ Ahmed bin Abi Al-Diaf, Ithaf Al-Zaman bi Akhbar Al-Kuluk Tunis and the Era of Safety, Tunisian University Publications, Tunis, 1971, 89.

_ Ahmed Ezzat Abdel Karim, The Arab World in the Modern Era, printed and published by Dar Saad, Cairo, 2010, 87.

_ Al-Bashir Al-Hajj Ibn Othman Al-Sharif, Lights on the Modern History of Tunisia 1881-1924, Dar Bou Salama for Printing, Publishing and Distribution, Tunis, 2003, 19.

_ Al-Hadi Al-Taymoumi, Tunisia and the Modernization, Dar Muhammad Ali for Publishing, Tunisia, 2010, 177.

_ Ali Al-Mahjoubi, The Erection of French Protection in Tunisia, Siras Publishing, Tunis, 1986, 35.

_ Ali Sultan, History of the Modern Arabs 1516-1918, Tripoli International Library Publications, Tripoli, 553.

_ Al-Taher Abdullah, The Tunisian National Movement, A New National Popular Vision 1830-1956, Dar Al-Tali'ah, Beirut, 1974, 74.

_ Habib Thamer, This Is Tunisia, Arab Maghreb Library, Cairo, 1948, 25.

_ Hassan Hosni Abdel-Wahhab, Summary Of The History Of Tunisia, Dar Al-Kutub Al-Sharqiya, Tunis, 1990, 177.

_ Ismat Burhan al-Din Abdul Qadir, The Arabs and the Constitutional Question in the Ottoman Empire 1876-1914, an unpublished doctoral dissertation submitted to the Council of the College of Arts, Mosul, 1995, 55.

_ Jalal Yahya, The Modern Arab World, Assiut University, Egypt, 1966, 688.

_ Lutsky, History of the Arab Countries, Dar Al Taqaddam, Moscow, 1971, 330.

_ Muhammad Al-Hadi Al-Sharif, History of Tunisia, Siras Publishing, Tunis, 1993, 95.

_ Muhammad Ali Dahesh, Studies in National Movements and Unionist Attitudes in the Maghreb, Publications of the Arab Writers Union, Damascus, 2004, 41.

_ Muhammad Al-Marzouki, Conflict with Protection, Dar Al-Kutub Al-Sharqiya, Tunis, 1973, 36.
_ Muhammad Youssef Nahla, The Development of the National Movement in Tunisia 1881-1956, an unpublished master's thesis submitted to the Institute of National and Socialist Studies, Baghdad, 1981, 38.
_ Nicholas Ziada, Tunisia In The Era Of Protection from 1881-1934, Institute of International Arab Studies, Egypt, 1963, 45.
_ Salah Al-Akkad, The Arab Maghreb, Algeria-Tunisia-Al-Maghreb Al-Aqsa, The Anglo-Egyptian Bookshop, Cairo, 1969, 189.
_ Salah Al-Din Al-Tilali, New Tunisia, Problems and Theories, Arabah Muhammad Al-Suez, Bou Salama Publishing House, Tunis, 1959, 50.
_ Shatha Athra, The Treaty of El Marsa between France and Tunisia, July 8, 1883, Journal of the History of the Arabs and the World, Arab Publishing House, Beirut, 1987, 23.
_ The end of Muhammad Salih Al-Hamdani, The Tunisian National Movement 1881-1920, Dar Al-Moataz for Publishing and Distribution, Amman, 2016, 9.
_ Van Kriken, Khairuddin and The Tunisian Country 1850-1881, translated by Al-Bashir bin Salama, Dar Sahnoun, Tunisia, 1988, 40.
_ Zahia Kaddoura, History of the Modern Arabs, Dar Al-Nahda Al-Arabiya for Printing and Publishing, Beirut, 1975, 523.
Ahmed Al-Tawili, Studies and Documents on the Reform Movement in Tunisia, Saidan for Printing and Publishing, Tunis, 1992, 29.

Mustafa Ismail and his role in the fall of Tunisia1881-1853

Saad Tawfiq Aziz Al-Bazzaz*

Abstract

Mustafa Ismail is one of the prominent figures in the history of modern Tunisia. He is one of the ministers of Tunisia in the 19th century. He held several ministerial posts during the reign of Ali Mohamed Sadiq until he became prime minister. He played a role in obstructing the reforms carried out by Khairuddin Pasha. The country through the policy of waste and extravagance, and arbitrariness in the collection of taxes towards the people of Tunisia, making his work to hand over Tunisia on a plate of gold to the French occupier. The French occupier and colonialist did not come from a vacuum or send his military forces directly to the land of Tunisia, but sought to sink them with loans and foreign debts to seize their economic capabilities, exploiting the problem of minorities and demanding the Tunisian government justice and equality in line with some tribes that live in the border between Algeria and Tunisia. Security, as well as the weakness and inefficiency of the Bey and the ruling elites who controlled the reins of government in Tunisia were the Bay how he could make the ruling genetically in his family, Minister Mustafa Ismail, the French exploited the ignorance and love of power and money He imagined that once Tunisia entered under the protection of France, France did not forget the known and become directly Baye to Tunisia, agreed with the consul of France on the conditions of the introduction of Tunisia under French protection for five million francs was conquered in 1881.

Keywords: downfall, Tunisia, chaos.

***Asst.Prof./ History Department / College of Arts / University of Mosul**